

مميزات المعمار اليوناني



من أبرز مميزات المعمار اليوناني: العمود

والغرض من العمود هو الحمل؛ وعلى الرغم من أنّ صفتَه من الأعمدة موضوعة بعضها إلى جنب بعض في خط مستقيم، يرسم حدّاً، فإنه مع ذلك لا يكون محيطاً مثلما يفعل الحاجط أو السور الحقيقي، بل هو بعيد من الحاجط بالمعنى الحقيقي وينتسب بكلٍّ حرية. ولما كان الحمل هو الغرض الوحيد من العمود، فإنّ من المهم قبل كلٍّ شيء أنّه فيما يتعلق بالحمل الذي يستند على العمود، فإنه يجب ألا يكون قوياً جدّاً، وألا يbedo على العمود أنّ الحمل يسحقه، كما لا ينبغي أيضاً أن يbedo العمود وكأنّه من خفة الحمل يصْنَع نحو الأعلى بخفة باللغة، وكأنّه يتلاعب بحمله.

وكما يتميز العمود من الجدار أو السور الذي يكون محيطاً، كذلك يتميز من السارية. ذلك أنّ السارية تغوص مباشرة في الأرض هناك حيث يوضع فوقها حِمْل. ولهذا السبب فإنّ طول السارية ونقطة انتلاقها ومظهرها تبدو ناتجة عن تحديد سلبي بشيء آخر غيرها، بأمور عارضة لا تتوقف عليها. أما بالنسبة إلى العمود، فإنّ البداية والنهاية هما تحديدان ينبعثان من طبيعة العمود نفسه ولهذا السبب يجب أن يكونا عنصرين خاصّين؛ ولهذا السبب فإنّ العمود الذي يبدعه المعماري الجميل، إذا وصل إلى تمام نضوجه، يملك قاعدة وتاجاً. صحيح أنّ الأعمدة التي تكوّن جزءاً من الطراز التوسكاني ليست لها قواعد ويلوح أنها تنبع من الأرض مباشرة ولهذا فإنّ ارتفاعه يبدو عَرَضاً تماماً؛ فلا يعرف المرء إلى أي عمق غاص العمود في الأرض تحت ثقل الحمل الذي يحمله. وحتى لا تظهر بداية غير محددة وعرضية، تعطي قدرة يستند إليه ويكون إطلاق البنية الظاهرة لبراءته وكأنّ الفنان يريد أن يقول: العمود يbedo من هنا؛ ومن ناحية أخرى يريد أن يبيّن صلابة العمود ابتعاده أن يشع فيينا الطمأنينة. ولهذا السبب فإنّ الفن يختم العمود بتاج يقصد به إلى بيان أنّ العمود صنع من أجل أن يكون حاملاً، كما أنّه يbedo أنّه يعني أنّ العمود ينتهي هنا. فبإعطاء طابع مقصود للبداية والنهاية يمكن إدراك معنى القاعدة والتاج. إنّ لهما نفس المعنى الذي للإيقاع في الموسيقى. إنّ من الممكن أن يختم الكتاب دون أن نكتب: "انتهى الكتاب"، كما يمكن أن نبدأه دون أن نبرز الحرف الأول فيه؛ ومع ذلك فإنّ الكتب، خصوصاً في العصر الوسيط، كانت الحروف الأولى فيها تكتب بحلية، وأواخرها تزيّن بزينة، من أجل إبراز نقطة البدء والختام في الكتب.

وإلى جانب القاعدة والتاج، ثمّ خصائص أخرى للعمود: منها أن يكون اسطوانياً، ذلك أنّ العمود يجب أن يأخذ شكلًا دائرياً، وذلك لإبراز حريته تجاه محيطه. والخط المستدير هو أبسط الخطوط، وأدقها

وأكثرها نتظاماً، ويكتفي نفسه بنفسه والعمود بشكله الأسطواني يبين أنّه لا يقصد به هو وعدة أخرى مضمومة بعضها إلى بعض أن يكون سطحاً مستوياً مثل القصبان التي تتقاطع بزاوية قائمة وتصف بعضها إلى جوار بعض فتكّن جدراناً أو حواجز. وإنَّ الغرض من العمود هو أن يكون حاملاً، لحسابه الخاص، لا من أجل غيره.

وابتداء من الثالث الأعلى يأخذ العمود في الانكماس: أن حجمه وسمكه ينقصان - والسبب في هذا هو أن ثلثيه السفليين يجب أن يكونا حاماً للثالث العلوي، وهذه المضورة الميكانيكية يجب أن تبرز بوضوح دون أن تحتاج إلى جهد في التفسير.

وأخيراً نشاهد في الأعمدة أحياناً كثيرة مجازي عمودية الغرض منها هو - من ناحية - تصحيح بساطة الشكل بإحداث بعض التنوع؛ ومن ناحية أخرى: من أجل إظهار الأعمدة - حين يكوُّن ذلك ضرورياً - أكثر سماكاً مما هي عليه في الواقع.

طُرُز الأعمدة:

وللأعمدة اليونانية طُرُز ثلاثة: هي: الأيوني، والدوري، والكورنقي. وحملها لم يَفْقُهُ أي طراز آخر من الأعمدة حتى اليوم.

والطراز الدوري يتميّز بثقل الشكل: وذلك لأنَّ ما يسود في هذا الطراز هو العصر المادي بكلِّ ثقله، ويتجلى في النسب بين الارتفاع والعرض. والمعمار الدوري يتميّز بأنّه يقترب - أكثر من الطرازين الآخرين - من البساطة الأولى للمباني التي من خشب، والأعمدة الدورية لا توجد لها - في الغالب الأعم - قواعد، وإنما تقوم مباشرة على الأرض أو البنية التحتانية. والتاج فيها متنوع من شعار و دائريات. وجذع العمود إما أنّه أملس، وإما أنّه تشقه مجاز مسطحة في الثالث الأسفل، وغاية جدًا في الثلثين العلويين. أما المسافة بين الأعمدة فإنّها في أقدم الآثار ضعف سُمك العمود.

وثمَّ خاصية أخرى بها يقترب المعمار الدوري من الأبنية الخشبية، وهي الترجليف[1] والميتووب metopes والميتووب تكوُّن جزءاً من الأفرين على شكل قطع منقوشة منشورية منقوشة في رؤوس قضبان الارشتراق، التي تحمل الهيكل الخشبي للسلف، بينما الميتووب مهمتها هي ملء الفراغات بين القضبان، وهذه الفراغات لها شكل مربع في المعمار الدوري. وكانت الميتووب غالباً ما تُرْزَيَّن بالنحون البارزة.

وإذا كان الطراز الدوري يسعى خصوصاً إلى أن يهب مبانيه رسوحاً قوياً، فإنَّ الطراز الأيوني يتميّز بالمزيد من المرونة والرشاقة والأناقة هذا مع عدم التخلّي عن البساطة. وارتفاع العمود يزيد بمقدار سبع إلى عشر مترات عن القَطْر السفلي، ويتوقف خصوصاً - في رأي فترو فيوس Vitruvius - على المسافات بين الأعمدة، فإنَّ الأعمدة تبدو أكثر نحواً كلما كانت المسافات بين الأعمدة أكبر.

وما يميز الطراز الأيوني من الدوري أيضاً هو أنَّ جذع العمود الأيوني - بخلاف العمود الدوري - لا يستند مباشرة على الأرض أو البنية التحتانية، بل له قاعدة مكوَّنة من عدة أجزاء. وفي الجذع الأيوني 24 قنطرة واسعة، وهو يتمتع بـ نحيلًا ومرناً، ويتعلّم قليلاً صوب التاج. ومن هذه الناحية فإنَّ المعبد الأيوني في أفسوس يتعارض تماماً مع المعبد الدوري في بيستم Paestum.

والتاج الأيوني يتميّز بالتنوع والجمال والأناقة. إنّه لا يتكون فقط من لفَّة bourelet منحوتة وعُصبات وشفرات، بل يلقى أيضاً، عن يمين وشمال التواءات حلزونية، وفي الجانب توجد زينة على شكل لفَّة، ومن هنا جاءت تسميتة بأنّه التاج ذو اللفَّة.

ونظراً إلى هذا النحول وهذه الزينة في الأعمدة، فإنَّ المعمار الأيوني يحتاج إلى هيكل من الألواح أقل ثقلاً، وهذا ما يزيد في لطف أبنيته. وهو أبعد من المعمار الدوري عن الأبنية الخشبية، فلهذا يستغنى عن الترجليف والميتووب في الفريز الشاعم، ويوضع مكانها جمام حيوانات الأضاحي مجموعة في باقة من الأزهار، بينما رؤس القضبان يحل محلها فكوك هذه الحيوانات.

أما الطراز الكورنثي فيقوم على نفس الأساس الذي يقوم عليه الطراز الأيوني، مضيفاً إلى نحول الأيوني جلاً مليناً بالذوق وثراءً هائلاً في الزينة والعمود الكورنثي يزيد في الارتفاع عن العمود الأيوني، لأنَّ تاجه أكثر ارتفاعاً، ولهذا يبدو أكثر غنى. ذلك أنَّ ارتفاع التاج في العمود الكورنثي يبلغ 1/8 من قطره السفلي، وله في أركانه الأربع زينات أنيقة على شكل حلزوني، والجزء السفلي منه مزین بورقة الأكنشا (شوكة اليهود) acanthi. وللليونانيين أسطورة لطيفة في هذا الشأن. وهي أزّه لما توفيت فتاة صغيرة رائعة الجمال، فإن مربّيتها جمعت كلَّ لعبها ووضعتها في سلة، ثمَّ وضعت هذه السلة فوق قبر الفتاة؛ وهنالك نبتت في الحال شجرة أكنشا، مالت أوراقها فوق السَّلَة محيبة بها من كلِّ جانب. ونتج عن ذلك شكل اتخذ نموذجاً للتاج عمود.

الها مش:

[1] - الترجليف: حلية في الأفريز الدوري تتالف من علاقتين محفورتين في الفراغ ومن نصف علامتين (على الحوافي) وتتبادل مع الميتوب.

والميتوبي هو فصلة تفصل بين ترجليفيين في افريز دوري، وتوجد فيها عادةً بلاطة منحوتة.

المصدر: كتاب فلسفة الجمال والفن عند هيجل